الشاعر ارسانيوس الناخوري الذي نُشرت ترجمة حياته في هذه المجلّة الغرّاء: (١

ابناء باخوس غدوا في لوعة اذ يوسف ذاك الفتى هجر الحمى
شهم امامٌ بل ادبب فاضلٌ فبفضله شرقاً وغرباً رنّما
لبنانُ اولى عزةً وتفاخراً فلقومه بنيهِ ثناه كلّما
ولفقده اسى اخوه فارس بتفجع واسال دمعاً عندما
كفنُوا البكا ثمّ الامى يا آله اذ روحهُ لاله قد سلّما
فجباهُ ملكاً في السماء مؤبداً متمتعاً فيما عليهِ انعما
سعداً وجداً ارخوا ساوِ جا بالنّ اضحى وارثاً ملك السما (١٨٨٣)

وكان رضوان الله عليهِ شهماً ذكيّاً متضلعاً في العلوم الفلسفيّة والتاريخيّة وخطيباً مصقعاً وشاعراً مجيداً لهُ شعر اعذب من الماء الزلال واغرب من السحر الحلال. سريع الخاطر طلق اللسان لطيف المعاشرة يطرب الالباب ويسكر العقول(٢ بل تعشق كلامه الطباع وتلذّ بهِ الاسماع يشهد لهُ بذلك كثير من ذوي الادب والعلم في الديار الشرقيّة والغربيّة الذين كانوا يعجبون ويطربون بكلامه الدرّي

ولهُ مع بعض محرري الجرائد في ذلك الحين ولاسيما مع محرر "الجوانب" المناقشات الحسنة والمجادلات اللطيفة التي تشف عن دهاء ودراية في الامور واتساع في العلوم. رحمهُ الله رحمةً واسعة ومتّع الوطن بامثالهِ

اقدم التصاوير

الاب لويس شيخو اليسوعي

اذا اصاخ احدٌ بسمعهِ الى اقاويل دروين واشياع التحويل ظنّ ان الانسان كان

---

١) المشرق ٣:٦٠٦

٢) قالت البال مال غازت في ذلك الحين: «ان بحر الانفاظ هو صناعة اتقنها وبهر فيها ابناء المشرق وقد برع فيها المسيو باخوس براعة عظيمة وهو شاب قد اشتهر امره واصبح يعدّ الان من شيوخ الكتبة المصنفين». هذا وانا نضرب صفحاً عن الجرائد الشهيرة التي مدحت كتاباته ومقالاته بخصوص المسألة الشرقية مدحاً فائقاً وعرّبت بالمعرف اكثر هذه المقالات النفيسة ونشرتها في اعمدتها لاسيّما الجرائد الباريسية. وقد قدرتهُ معظم الجمعيات العلمية الشرقية في اوربا حق قدره وعيّنتهُ من اعضائها

في اول امره في حالة من الهمجيّة تشبه احوال العجماوات في اكثر امورها غير انّهُ ترقّى شيئاً فشيئاً حتى بلغ ما نعهدهُ فيهِ من الكمال

على انّ هذه الظنّ اذا سُيرت بمعيار العقل وعُرضت على مقياس التاريخ لم تصدق في اشياء عديدة. وربّما وجدنا في بعض الشعوب تقهقراً عظيماً بعد بلوغها اوج عزّها. وما يقال في الامم يصحّ في الفنون والصنائع التي فُقد منها الكثير مما لم يبقَ منهُ الّا النزر القليل. وقد أيّد هذا الامر اصحاب العاديات المصريّة والبابليّة الذين اكتشفوا في طبقات الارض السُفلى من الاعمال الصناعيّة ما لم يجدوه في الطبقات الوسطى والعليا فاستدلّوا بذلك على انّ القوم الاوّلين بلغوا من الترقي والتأنّق ما عجز عنهُ اخلافهم

ومن جملة هذه العاديّات التي سبقت طور التاريخ تصاوير عجيبة وجدها العلماء في الكهوف والمغاور التي أوى اليها الاجداد الاوّلون. وكان اصحاب البحث عثروا في مطاري الجيل المنصرم على عدّة قطع من العاج او القرن او العظم حُفرت عليها نقوش وتصاوير تمثل في الغالب حيوانات او بعض الحليّ والادوات ولكلّها من الدقّة في الرسم ومن الشبه بالصور الاصليّة ما يقضي بالعجب. واكثر ما وُجد من هذه الآثار في وادي نهر ڤازار (la Vézère) في جنوبيّ غربيّ فرنسة تراها اليوم معروضةً في متاحف العاديّات وكان وجودها في اعماق الارض وطبقاتها السافلة. والعلماء يقدّرون انّها بليغة في القدم وان عمرها لا يقلّ عن ثمانية آلاف سنة. وهو لعمري عهد عهيد يرقي هذه الآثار الى زمن البشر الاوّلين

غير انّ اكتشاف هذه المقاطيع الصُغرى الغريبة التصاوير لم يكن سوى مقدّمة لاكتشاف آخر اعظم شأناً وهو اكتشاف تصاوير كبرى نُقشت في جدران الأسراب والاغوار نقشها البشر في الاطوار الاولى السابقة لزمن التاريخ

واوّل من وقف على شيء من هذه النقوش الاستاذ الاسباني دي سَوتولا (Sautuola) لقيها سنة ١٨٧٥ في مغارة مظلمة من بلدة «الطميرة» قريباً من مدينة سَنتاندر ولمّا فحصها فحصاً مدقّقاً وجد انّها صور بقر وحشيّ (bison) وكانت مطليّة بالمغرة. فما مرّ على هذا الاكتشاف ثلاث سنوات حتى وجد المسيو شيرون (Chiron) اشكالاً مثلها في مغارة شابو (Chabot) من مقاطعة غار (Gard) من اعمال فرنسة

وكانت هذه التصاوير خشبيةً فلم يُعرها العلماء بالاً الى ان اكتشف صدفةً المسيو

صورة الدورث الاصلي

رسم الدورث القديم

فرس نام ج لبنة

فرس رخو

ريفيار (E. Rivière) سنة ١٨٩٥ في وسط مغارة مستطيلة على بُعد مئة متر من مدخلها تصاوير أخرى ظاهرة الرسم حسنة الدلالة والبعض منها محلى بالمُغرة تمثل بقرًا وحشيًا وايل الشمال (renne) واصنافًا من الخيل القديمة (équidés) والمغارة المذكورة تُدعى لاموث بقرب ضيعة اسمها داز ايزي (des Eyzies) في مقاطعة دوردوني الفرنسيَّة. وشفع هذا الاكتشاف اكتشاف آخر في مقاطعة جيروند في مغارة تدعى پار نُنپار (Pair non Pair) دخلها المسيو دالو (Daleau) فلحظ فيها ١٤ صورة محفورة حفرًا متقنًا في جدران الكهف

غير انَّ اعظم اكتشاف من هذه النقوش العاديَّة جرى في ١٠ ايلول من السنة الماضية على يد الأبيل بوريل (l'abbé Breuil) والدكتور كابيتان (Dr Capitan) فانَّهما توغَّلا في غار طولهُ ٢٣٥ مترًا يُدعى كُتبارلَ على جوار مغارة لاموث السابق ذكرها. وهذا الكهف ضيِّق يختلف عرضهُ بين متر ومترين اما علوّه فربَّما كان واطئًا لا يُمكن عبوره الَّا بان يزحف الداخل على بطنهِ زحفًا. فلمَّا توسَّطا المغارة على مسافة ١٢٥ مترًا من مدخلها وجدا على جانبيها صورًا كبرى مرسومة على طول مئة متر. والبعض منها يغطّيهِ طلاء من الماء المتحجّر الذي يتحلَّب من المغارة

وهذه التصاوير عبارة عن ١٠٩ صور منقورة في الصخر بعضها نقرًا خفيفًا وبعضها بليغًا بحيث يمكن الناظر ان يراها من بعيد. ومن هذه النقوش ما لا يمثّل سوى رأس الحيوان. وهي تختلف كبرًا فمنها ما يبلغ مترًا وبضعة سنتيمترات

اما الحيوانات التي هي منقوشة في هذه المغارة فاكثرها من الحيوانات التي فُقدت منذ اعصار عديدة نخصّ منهم بالذكر المثوث (Mammouth) وهو صنف من جبابرة الفيلة القديمة التي لم يُعرف منها غير بقايا من عظامها وُجدت في سيبارية في وسط الجليد او في اعماق الارض وهو حيوان يبلغ علوّه نحو ثمانية امتار. ومن صور المثوث في المغارة ١٤ صورة وكلها تدلُّ على انَّ هذا الحيوان كان بعدُ حيًّا في عهد المصوّر نقشهُ في كل اطوار حياتهِ فترى لهُ خرطومهُ الجسيم وناييهِ الضخمين وعليهِ شعر كثّ عند فكَّيهِ وفوق رأسهِ وتحت بطنهِ ممَّا يفرزهُ عن الفيل الحاليّ (انظر صورتهُ ص ٥٠٤)

ومن الحيوانات المرسومة في هذه المغارة ضروب من الخيل يبلغ عددها ٢٣ صورة تامَّة ما خلا صور رأسهِ منفردًا. ولهذه الافراس خواصّ تختلف عن افراسنا بعض

الاختلاف فمنها ما هو ارفع قدًا ومنها ما يُرى ذنبهُ اجرد إلَّا في طرفهِ الاسفل ومنها ما يشبه البغل وبعضها كالفرس الحاليّ إلا انَّهُ اعرض فمًا

ومما يدلُّ على انَّ الخيل في ذلك العهد كانتْ اهليَّة مسخَّرة لاشغال الانسان انَّ البعض منها يُرى في هذه الصور موسومًا باللجام وعلى ظهر بعضٍ منها غطاء من اللبد ليركب عليهِ الفارس (انظر صورتهُ ص ٥٠٤). وعلى لبان هذه الخيول او اعجازها علامات يظنُّ البعض انها حروف ويرجّح غيرهم انَّها سمات تدلُّ على اصحابها

ومن الحيوانات المصوَّرة في هذه المغارة ستّ صور من البقر منها ما يشبه البقر الوحشيّ ومنها واحدٌ لا يعرف لهُ شبيه بين اجناس البقر إلا انَّهُ دقيق الصنع محكم التصوير (انظر صورتهُ ص ٥٠٤)

ومنها الايل الشماليّ والتيوس البريَّة المختلفة الشكل منها صنفٌ متوسّط بين الايل والغزال أُتقن تصويرهُ وزيد عليهِ خطوط بطلاء اسود

وكلُّ هذه الصور لها هيئات مختلفة فبعضها منتصب وبعضها رابض. ومنها ما يُظهر راكضًا مرجفًا في سيرهِ. الَّا انَّها لا تُرَى مواجهةً بل على احد جانبيها

امَّا الادوات التي اتَّخذها المصوّرون لحفر هذه التصاوير فهي ادوات الظرَّان واحجار الصوَّان. والعجيب من امرها ان اصحابها بلغوا هذه الدقَّة والاحكام مع صعوبة حفرها بمثل هذه المقاريض. وتصويرها يدلُّ على براعة غريبة في اصحابها

امَّا قِدَم هذه الصور فلم يتمكَّن العلماء من بيانهِ. وقد ظنَّ مكتشفوها انَّ عهدها يترقَّى الى نحو عشرة آلاف سنة قبل المسيح. وهو حدسٌ لا سند لهُ متين. وعلى كلّ حال يسوغ القول انَّ هذه الصور عريقة في القدم لان مصوّريها لم يرسموها عن سمع بل عن عيان. وقد فُقدت هذه الحيوانات منذ ألوف من السنين. وكذلك الامكنة التي وجدت فيها تعرَّف قدمها اذ انَّ قسمًا كبيرًا من هذه المغاور مطمورٌ بموادّ كلسيَّة وحرَّاريَّة تُعرف خاصَّة بالطور المغدلاني (époque magdalénienne) سبق عهدها المسيح باكثر من ستَّة آلاف سنة

فترى من هذا الوصف ما يترتب على هذا الاكتشاف من الاهميَّة لتعريف التأريخ البشري وقدم الصناعة بين الناس وترقيهم في الحضارة واماكن سكناهم. وان قيل انَّ هذا العهد لا يوافق ما جاء في التوراة عن زمن التكوين كرَّرنا ما قلناه في هذه المجلَّة

غير مرّة ان التوراة ليس لها تاريخ خاصّ ولعلماء في ذلك آراء متباينة لم تجزم الكنيسة بصحّتها فمن ثم ان اقتضى القول بان هذه التصاوير نُقشت منذ اثنتي عشرة سنة فلا بأس من التسليم به. ونحن نعلم حقّ العلم ان كلام الله ثابت لا يستطيع ان ينقضهُ علم بشر

المستشفيات في المغرب

نظر الاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ من الباطل ما يكتسي بثوب الصدق ويتزخرف بزيّ الحقّ فتنخدع بشبهاته عقول الجمهور الذين لا يحكمون في الغالب الّا استناداً على الظواهر. اما الذي كتبهُ احدى الجرائد الخليّة بحقّ الكنيسة الغربيَّة بخصوص المستشفيات (راجع المشرق ٥: ٤٧٦) فانهُ خالٍ حتى من شبه الصحّة. ولو اردنا نقض هذا القول لما احتجنا الى براهين عديدة وادلّة غامضة وكفانا ان نشير باليد الى المآوي والمآتم والمستوصفات والمارستانات التي انشأتها الكنيسة الغربيَّة ليس في بلادها فقط بل في كل مدينة من اقطارنا الشرقيَّة

على انَّ هذا الكاتب تستّر وراء التاريخ القديم ظنّاً منهُ ان حجّتهُ تكون اوقع في النفوس راثبت في الاوهام فكتب (ص ٤٧٦): «ان الكنيسة الغربيَّة كانت تظهر في جميع ادوارها مقتصرة بسبيل الخير حذاء اختها وذلك من كون عمّالها كانوا يصرفون تلك القناطير المقنطرة من الدينار على البذخ وقلّما كانوا يتحوَّلون بانظارهم نحو اخيهم البائس ولا سيَّما الابرص». فانَّ مثل هذا القول لا يسلّم به كاثوليكيّ ولو اردنا تفنيدهُ لاستدعى مقالات ممدَّدة لنبيّن انَّ الكنيسة الغربيَّة لم تقصّر مطلقاً في اي سبيل كان من سُبل الخير بل تسارعت في كلّ ادوارها الى جميع المشروعات المبرورة. ولكن لمّا حصر الناظر قولهُ في ذكر المستشفيات والبُرص حبينا هذه المرَّة ان نخوض معهُ في هذا الميدان ونبيّن لهُ انَّ للكنيسة الغربيَّة من المآثر في ذوي البأساء ما يحلّها بشمة الفخر ويخلّد لها في تاريخ الانسانيَّة ذكرًا فريدًا لا يناصبها فيهِ غيرها